

## المحاضرة الخامسة: جرائم البعث في العراق

الانتفاضة الشعبانية (آذار 1991): ملحمة شعب ووحشية نظام

تُعد الانتفاضة الشعبانية في مارس 1991 واحدة من أعظم ملاحم الكفاح الشعبي في تاريخ العراق الحديث، والصفحة الأكثر دموية في سجل جرائم نظام البعث. لقد كانت لحظة "كسر حاجز الخوف" الذي فرضه الديكتاتور لأكثر من عقدين.

أولاً: الأسباب والشرارة المُتفجّرة لم تكن الانتفاضة مجرد رد فعل عفوي، بل كانت نتاجاً لتراكم سنوات من القمع والظلم، وتدهور الأوضاع بعد حربين كارثيتين:

1. الهزيمة المُذلة (حرب الخليج الثانية): كان الانهيار المروع للجيش العراقي في الكويت عام 1991 هو القشة التي قصمت ظهر النظام. عاد الجنود العراقيون سيراً على الأقدام، مهزومين ومُحبطين، ليشاهدوا بلادهم في حالة يرثى لها.

2. كسر جدار الصمت: كانت الشرارة الأولى رمزية ومتفجرة في آن واحد. ففي البصرة، وتحديدًا في ساحة سعد، قام جندي عراقي عائد بإطلاق قذيفة دبابة على صورة عملاقة لصدام حسين، تلتها هتافات الجماهير المطالبة بإسقاط النظام. وفي الناصرية، سبقت الشرارة بفعل أحد أفراد المعارضة الذي رفع شعارات الخلاص.

3. الظلم الاقتصادي والسياسي المُتراكم: تفاقم الإحباط بسبب الفقر، وتدهور البنية التحتية، ونظام القمع والإعدامات العشوائية والتصفيات السياسية التي لم تستثن العلماء والمفكرين.

ثانيًا: الامتداد والنجاح الباهر للثوار كانت الانتفاضة في أصلها عفوية وغير منظمة بشكل مركزي، لكنها سرت بسرعة مذهلة كالنار في الهشيم:

الامتداد الجغرافي المُذهل: انطلقت الانتفاضة من محافظات الجنوب والوسط (كالبصرة، الناصرية، ميسان، النجف، كربلاء، واسط، الديوانية، بابل)، لتشمل بعد ذلك 14 محافظة من أصل 18، بعد انضمام الانتفاضة الكردية في الشمال (السليمانية، أربيل، دهوك).

القيادات الدينية والإدارية: في غياب قيادة سياسية موحدة على الأرض، قام المرجعيات الدينية في النجف (مثل السيد أبو القاسم الخوئي) بتشكيل لجنة عليا من رجال الدين لإدارة شؤون الحياة اليومية والمحافظة على الأمن والممتلكات في المحافظات المُنتفضة، في محاولة لسد الفراغ الإداري الذي تركه انهيار سلطة البعث.

ثالثاً: وحشية القمع وإبادة الإرادة الشعبية

بمجرد أن استعاد نظام البعث توازنه، بدأ عملية قمع لم يشهد لها التاريخ الحديث مثيلاً في الوحشية: استخدام الأسلحة المُحرّمة دولياً: خرق النظام الاتفاقيات الدولية واستخدام الطائرات المروحية (الحوامات)، والدبابات، والمدفعية الثقيلة، في قصف المدن والمناطق السكنية بلا تمييز. كانت سهولة تضاريس أرض الجنوب السهلية عاملاً مأساوياً ساعد طائرات النظام في القصف، على عكس المناطق الكردية الوعرة. الإبادة الجماعية والتتكيل: المقابر الجماعية: قُتل الآلاف بإطلاق النار العشوائي في الشوارع والمستشفيات، وتم إعدام الشباب داخل البيوت التي اشتبّه بمشاركتها في الانتفاضة. تشير التقديرات إلى أن المقابر الجماعية (مثل مقبرة المحاويل الشهيرة) تضم رفات ما بين 10,000 إلى 15,000 ضحية. انتهاك المقدسات: لم تسلم العتبات المقدسة في كربلاء والنجف من القصف المدفعي والاعتداء، في جريمة دينية وتاريخية موثقة.

التعذيب والتهجير: تعرض آلاف المعتقلين للتعذيب والاعتصاب والحرق، وشُرد ما يقارب مليوني شخص من ديارهم، بعضهم فروا إلى الأهوار التي قام النظام لاحقاً بتجفيفها، مما أدى إلى كارثة بيئية وإنسانية.

رابعاً: الخذلان الدولي والموقف الأمريكي المُتخاذل

كان صمت المجتمع الدولي هو السند الحقيقي للنظام في ارتكاب هذه المجازر، وهو ما يشار إليه في النص الأصلي بـ "الدعم والتعاون من دول الاستكبار العالمي".

تحريض بلا دعم: كان الرئيس الأمريكي آنذاك، جورج بوش الأب، قد وجه نداءً تحريضياً للعراقيين للخروج على النظام، لكنه وقف مكتوف الأيدي لحظة بدء القمع، ولم يقدم أي دعم جوي أو لوجستي للمنتفضين.

الهاجس الإيراني: كان السبب الرئيسي لهذا التخاذل هو الخوف الدولي والإقليمي من أن يؤدي سقوط صدام إلى سيطرة الشيعة على الحكم في العراق أو هيمنة إيرانية على المنطقة، وهو ما دفع القوى الكبرى والإقليمية إلى تفضيل بقاء نظام البعث الضعيف على مجيء حكومة شعبية ثورية.

منع التدخل الجوي: سمحت دول التحالف للنظام البعثي باستخدام طائراته المروحية (الهليكوبتر) لقصف المدن، رغم أن هذا الاستخدام كان خاضعاً للقيود التي فرضت على العراق بعد حرب الكويت. هذا التغاضي كان بمثابة ضوء أخضر للنظام للبطش بشعبه.

خامساً: الآثار والنتائج الطويلة الأجل

النتائج على الشعب العراقي: تعززت ثقافة الخوف والرقابة والترهيب، وتفاقم الانعزال السياسي والثقة بالسلطة، مما أدى إلى تدهور الحوكمة وزيادة العقوبات الاقتصادية الدولية على البلاد.

الحكم التاريخي: بالرغم من كل شيء، أسست الانتفاضة الشعبانية لشرارة مقاومة لم تتطفيء، وكانت الأساس لإدانة رموز النظام البعثي لاحقاً بارتكاب جرائم ضد الإنسانية أمام المحكمة الجنائية العراقية العليا. بالتأكيد. إليك الإجابات النموذجية والمفصلة للأسئلة المذكورة أعلاه، مرتبة حسب مجموعات الأسئلة، لمساعدتك في عملية التقييم والتصحيح:

الإجابات النموذجية لأسئلة الانتفاضة الشعبانية (1991)

المجموعة الأولى: إجابات الفهم والذاكرة متى اندلعت الانتفاضة وبأي مناسبة سميت؟

اندلعت في آذار/مارس من عام 1991م. سميت بـ الانتفاضة الشعبانية لأنها حدثت في شهر شعبان المبارك من التقويم الهجري (1411هـ).

ما هو الحدث الخارجي الذي كان السبب المباشر لإطلاق الشرارة؟

السبب المباشر هو هزيمة قوات النظام البعثي وانسحابها المُذل في حرب الخليج الثانية أمام قوات التحالف الدولي لتحرير الكويت.

كم كان عدد المحافظات التي تمكن الثوار من تحريرها؟

تم تحرير ما يقرب من أربع عشرة (14) محافظة شيعية وكردية في الجنوب والوسط والشمال.

اذكر ثلاثة أنواع من الأسلحة الثقيلة استخدمها النظام البعثي؟

الطائرات الحربية (المقاتلات والقاذفات).

المروحيات (الحوامات) لقصف المدنيين الهاربين.

المدفعية الثقيلة والدبابات لقصف المراكز الحضرية والعتبات المقدسة.

ما هو دور علي حسن المجيد وما هو الحكم الصادر بحقه؟

دوره: كان أحد كبار المسؤولين المكلفين بقيادة حملة القمع الوحشية والإبادة الجماعية ضد المنتفضين في

الجنوب والوسط.

الحكم: أصدرت المحكمة الجنائية العراقية العليا حكماً ب الإعدام شنقاً.

ما هو الرقم التقريبي لعدد الضحايا في المقابر الجماعية؟

تُقدر رفات ضحايا الانتفاضة (في مواقع مثل مقبرة المحاول) بما يتراوح بين 10,000 إلى 15,000

ضحية.

المجموعة الثانية: إجابات التحليل والنقد التاريخي

اشرح كيف كان فشل النظام في حرب الخليج الثانية عاملاً نفسياً للثورة؟

كان الانهزام العسكري بمثابة تدمير لصورة النظام القوي والمطلق الذي رسخه صدام حسين عبر العقود. رأى

الجنود العائدون والمدنيون ضعف النظام وعجزه لأول مرة بشكل علني ومُهين، مما أدى إلى "كسر حاجز

الخوف" الذي كان يمنعهم من التعبير عن غضبهم ومعارضتهم. هذا الانهيار النفسي سمح للغضب المكبوت

بأن يتحول إلى عمل ثوري مباشر.

حلل سببين رئيسيين لوقوف المجتمع الدولي متخاذلاً؟

الخوف من "إيران أخرى" (الهاجس الطائفي والإقليمي): خافت الولايات المتحدة والدول العربية المجاورة من أن يؤدي سقوط النظام البعثي إلى انتقال السلطة إلى مكونات عراقية ثائرة، تحديداً الشيعة، مما قد يؤدي إلى قيام دولة دينية موالية للنموذج الإيراني. لقد فضلوا بقاء صدام ضعيفاً ومحاصراً على هذا التغيير.

الاكتفاء بتحقيق الهدف المعلن: كان الهدف المعلن للتحالف الدولي هو تحرير الكويت و تدمير القدرات العسكرية لصدام. بعد تحقيق هذا الهدف، اعتبروا التدخل في الشؤون الداخلية للعراق أمراً غير ضروري، خصوصاً أنهم لم يسمحوا لإيران باستثمار الانتفاضة.

ما هي أبرز التحديات التي واجهت الانتفاضة من الناحية الداخلية؟

العفوية وغياب القيادة الموحدة: كانت الانتفاضة عفوية وتلقائية في أصلها، لكنها افتقرت إلى قيادة سياسية موحدة أو تنظيم عسكري مركزي قادر على الاستمرار وإدارة الصراع العسكري على المدى الطويل ضد الحرس الجمهوري المنظم.

التشويش الطائفي والإعلامي: حاول النظام البعثي تصوير الانتفاضة على أنها ثورة ذات صبغة طائفية أصولية (نسبة إلى المرجعية الشيعية)، مما أضعف الدعم الشعبي لها في بعض المناطق وكسب تعاطفاً إقليمياً ودولياً للنظام بحجة "محاربة الأصولية".

كيف تحولت عملية القمع إلى جريمة إبادة جماعية؟

تحولت إلى جريمة إبادة جماعية بسبب استخدام النظام للقوة العسكرية المفرطة (الطائرات والمدفعية) ضد المدنيين العزل في المناطق المأهولة. تجسدت الجريمة في:

القتل العشوائي والتتكيل: إطلاق النار على الناس في الشوارع والمستشفيات.

إنشاء المقابر الجماعية: دفن الآلاف بشكل جماعي دون تمييز أو محاكمة.

الاستهداف الممنهج: استهداف الأطفال والنساء وقصف العتبات والمساجد، مما يؤكد النية في إبادة شريحة معينة من السكان المنتقذين.

ناقش العبارة: "لم تكن الانتفاضة مجرد حدث سياسي، بل كانت تعبيراً عن حالة ثقافية ودينية متراكمة من الرفض؟"

كانت الانتفاضة ذات جذور عميقة تتجاوز مجرد إسقاط دكتاتور. لقد كانت انفجاراً للرفض المتراكم ضد الظلم الطائفي والعنصري الذي مارسه النظام البعثي، والذي استهدف المكون الشيعي والكردي بشكل خاص عبر سنوات. إشراف المرجعية الدينية على الجوانب الإدارية في المناطق المحررة، وقصف العتبات المقدسة، يؤكدان أن الصراع كان ذا بعد عقائدي وثقافي، حيث كان الشعب يطالب بالكرامة وإعادة الاعتبار لهويته المقموعة.

ما هي الآثار الطويلة الأجل التي تركتها جريمة قمع الانتفاضة الشعبانية؟ (اذكر ثلاثة آثار)

1- فاقم الانعزال السياسي وتدهور الثقة: أدت إلى تعزيز ثقافة الخوف والترهيب وزيادة الرقابة، وتراجع الثقة في الحياة السياسية والسلطة الحاكمة.

2- تدهور الأوضاع الاقتصادية والإنسانية: ساهمت في تعزيز العقوبات الاقتصادية الدولية، وتدهور مستوى المعيشة، وتشريد ما يقارب مليوني شخص.

3- تأسيس لإقليم كردستان: أدت الأحداث في الشمال إلى فرض منطقة حظر طيران دولية، وهو ما مهد الطريق لترسيخ الحكم الذاتي لإقليم كردستان كواقع سياسي.

كيف تعاملت المرجعية الدينية في النجف وما هي اللجنة التي شكلتها؟

تعاملت المرجعية (ممثلة بالسيد الخوئي) مع الوضع الجديد بالحيادية النسبية وإدارة شؤون الحياة المدنية بدلاً من قيادة الثورة المسلحة.

اللجنة التي شكلتها كانت لجنة عليا مكونة من تسعة رجال دين رفيعي المستوى في النجف، ووظيفتهم كانت الإشراف على المهام الإدارية وإدارة أمور الحياة اليومية (كدفن الموتى وتأمين الاحتياجات) في المحافظات المنتفضة.

ما هو الفرق الجوهرى بين تهمة الإعدام والسجن 15 عاماً؟

حكم الإعدام (علي حسن المجيد): هذا الحكم صدر عادةً بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية أو الإبادة الجماعية، مما يعني أن المدان كان له دور قيادي ومباشر في التخطيط والتنفيذ للقتل الممنهج والواسع النطاق للمدنيين.

حكم السجن 15 عاماً بتهمة القتال العمد (سلطان هاشم أحمد): هذا الحكم يشير إلى أن المدان شارك في العمليات العسكرية كقائد عسكري نظامي أثناء قمع الثورة، لكن المحكمة لم تثبت عليه التهم الأشد المتعلقة بالإبادة الجماعية أو التخطيط للقتل الممنهج، بل أُدين بجرائم تتعلق بالقتال غير القانوني أو العمد ضد المدنيين.

### صلاة الجمعة:

لماذا استهدف نظام البعث المرجع محمد صادق الصدر على الرغم من محاولات النظام السابقة لاحتواء المرجعية؟ استُهدف الصدر لأنه شكّل تهديداً وجودياً لسلطة النظام من خلال تحديه الشعبي المُعلن، وتحديداً عبر إحياء صلاة الجمعة، التي حوّلها إلى قوة جماهيرية منظمة عابرة للطبقات، مما كسر احتكار النظام للشارع والخطاب السياسي.

ماذا يُمثل استهداف صلاة الجمعة للمواطنين في نظر النظام؟ يمثل استهداف صلاة الجمعة محاولة لقمع رمز التحدي الديني والاجتماعي الذي أسسه الصدر. أراد النظام توجيه رسالة حاسمة بأن أي تجمع جماهيري مُنظّم خارج سلطة البعث، حتى لو كان دينياً، سيُقابل بالقوة المفرطة والاعتقالات الجماعية.

حلّ طبيعة الأحكام القضائية الصادرة (إعدام ومؤبد)؟ تشير هذه الأحكام إلى أن المحكمة رأت أن المدانين كانوا من القيادات العليا في حزب البعث وجهاز الأمن (علي حسن المجيد كمثال)، وأنهم ارتكبوا جرائم ممنهجة ضد مجموعة من المدنيين بسبب معتقداتهم وممارستهم لحرياتهم الدينية، مما يرقى إلى مصاف الجرائم ضد الإنسانية.

سؤال الإجابة النموذجية .. ما هو الفرق الجوهرى في دوافع النظام بين 1991 و 1999؟ 1991: كان الدافع هو البقاء العسكري وإنفاذ السلطة من الانهيار بعد الهزيمة الخارجية. 1999: كان الدافع هو القضاء على التحدي الأيديولوجي والاجتماعي المتزايد من الداخل.

ماذا يعني إدانة قيادات عليا (كعلي حسن المجيد) في كلتا الجريمتين؟ يعني أن هؤلاء القادة كانوا محور النظام القمعي وواجهته، ويملكون صلاحية مطلقة من صدام حسين لتنفيذ أي سياسة تتطلب القسوة والوحشية، سواء في حرب واسعة (1991) أو قمع أيديولوجي (1999).

كيف ينطبق مبدأ "المسؤولية القيادية" على هذه الجرائم؟ ينطبق المبدأ على القيادات (الذين حُكم عليهم بالمؤبد) الذين لم يطلقوا الرصاص بأنفسهم، ولكنهم أصدروا الأوامر أو لم يتخذوا إجراءات لمنع مرؤوسهم من ارتكاب جرائم جماعية ضد المدنيين.

تصفية الأحزاب:

ماذا يعني "التجريم بأثر رجعي" في سياق تصفية الأحزاب؟ يعني أن النظام أصدر قانوناً يجعل أي فعل أو انتماء سابق (حتى قبل صدور القرار بسنوات) جريمة يعاقب عليها بالإعدام. هذا يتناقض مع أبسط مبادئ القانون الجنائي (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص حالي)، واستخدم كأداة لتصفية أي سجل للمعارضة في الماضي.

لماذا كان الحزب الشيوعي العراقي هدفاً للتصفية رغم توجهه العلماني المشابه للبعث؟ لأن النظام البعثي كان لا يتحمل وجود أي قوة جماهيرية منظمة ومنافسة على الساحة السياسية، بغض النظر عن توجهها الأيديولوجي. كان الشيوعيون قوة جماهيرية تاريخية، ورأى النظام أن بقاءهم يهدد تفرد البعث بالسلطة.

كيف ساهمت تصفية الأحزاب في ترسيخ الديكتاتورية الشمولية؟ أدت التصفية إلى تدمير أي إمكانية للتعددية السياسية في العراق، وجعلت الولاء لصدام حسين وحزب البعث هو المسار الوحيد للبقاء على قيد الحياة. هذا الفعل قمع الطبقة السياسية والمتقفة لعقود طويلة، وعزز ثقافة الخوف والولاء المطلق.

ما هي الدلالة وراء إدانة شخصيات أمنية وسياسية بارزة (كسبعاوي) في هذه القضية؟ الدلالة هي أن جريمة التصفية كانت قراراً سياسياً أمنياً مركزياً من أعلى هرم السلطة، نفذته أجهزة الأمن والمخابرات (تحت إشراف سبعاوي) بالتعاون مع القيادة السياسية للحزب (عبد الغني عبد الغفور)، مما يؤكد الطبيعة المنهجية والمدروسة للجريمة.

لماذا يُعتبر تهجير الكرد الفيليين جريمة "إبادة جماعية"؟ لأن الإبادة الجماعية تعني استهداف مجموعة محددة (في هذه الحالة مجموعة عرقية-دينية) بهدف تدميرها كلياً أو جزئياً. وقد تم ذلك عبر التطهير الممنهج، فصل وتصفية الشباب (لإنهاء التكاثر المستقبلي للمجموعة)، وإسقاط الجنسية (لتجريدهم من حق الوجود القانوني).

ماذا يُمثل قرار إسقاط الجنسية رقم 666؟ يمثل التجريد القانوني من الهوية تمهيداً للجريمة. النظام أراد نزع صفة "العراقي" عن الكرد الفيليين ليبرر تهجيرهم القسري ونهب أموالهم باعتبارهم "تبعية إيرانية"، وبذلك يمنع أي حماية قانونية لهم.

كيف تعكس فكرة "التجارب الكيماوية على الشباب" قمة وحشية النظام؟ هذا الإجراء يمثل أقصى درجات التتكيل واللاإنسانية، حيث تحول الشباب إلى مواد تجريبية بدلاً من مجرد سجناء أو ضحايا إعدام عاديين. الهدف هو خلق الرعب المطلق وتدمير المجموعة المستهدفة بطريقة غير قابلة للنسيان.

حل الهدف من "القرار 474" الخاص بتشجيع الطلاق؟ كان الهدف هو تفكيك النسيج الاجتماعي والعائلي للمجموعة المستهدفة من الداخل، وتعزيز فكرة عزل الكرد الفيليين. دفع المال كان حافزاً قنراً لإجبار الأزواج على التخلي عن زوجاتهم لضمان عدم بقاء أي أثر أو نسب في العراق.